# إرهاصات (المدنية الجديدة)

## أو مقدّمات التعاون بعد المعاهدة

يتشكك البعض في احتمالات أن يتحقق تعاونٌ (اقتصادي وتقني) بين الدولة اليهودية غير الشرعية في فلـــسطين ، وبين المسؤولين الحاليين عن أوضاع مصر تحت قيادة السادات

ويتركز معظم أسباب التشكك التي توردها التقارير والتحليلات الصحفية الأجنبية طوال الشهور الماضـــية علـــى النقاط الآتية :

**أولاً** : الفارق الكبير في مستوى معيشة الفرد ، فالإنتاج الاجتماعي العام في مصر يعادل حوالي (12,5) مليـــار دولار عام 78م ، وهو في دولة الغاصبين حوالي (11,5) مليار دولار في نفس العام .. ولكن عدد سكان مـــصر 41 مليوناً ، وعدد سكان الدولة الغاصبة أقل من 4 ملايين ، ففارق مستوى المعيشة الفردي يعادل واحداً إلى عشرة تقريبا .. وكل احتكاكٍ اقتصادي مباشر في هذه الظروف يعني التبعية الاقتصادية الصريحة ، وإذا أحس الفرد في مصر بانتقال التبعية من واقع الإعلام والسياسة إلى واقع البيت والشارع في حياته اليومية .. فلن يصبر عليها

**ثانياً** : التبادل التجاري العسير للغاية على ضوء الوضع الحاضر ، فصادرات مصر تعادل (2,5–3) مليـــار دولار عام 78م ، والصادرات الصهيونية تعادل (3,6) مليار دولار .. ولكن معظم ما تحتاج إليه مصر حالياً لا يتوفر لدى اليهود ، كالحبوب .. أو يتوفر بأسعار مرتفعة لا تستطيع منافسة بضائع بلدانٍ معتبرة تتعامل مصر معها مـــن قبـــل ، كالحمضيات وحتى الآلات والمعدات .. كذلك فمعظم ما يحتاج إليه اليهود لا تستطيع مصر بوضعها الحاضر تصديره إليهم ، باستثناء النفط الخام والثروة المعدنية .. وربما (الماء) !

**ثالثاً** : محور الاهتمام الحقيقي هو أن تصدر مصر هذه المواد الخام ومعها اليد العاملة ، وتحصل على الخبرات التقنية اليهودية .. ولكن (التعاون) في هذا الإطار محفوف بالمشاكل والصعاب ، منها :

1– **مسألة النفط** : ليس صحيحاً أن استعادة نفط سيناء –كما ردد الإعلام بمصر مراراً– تحل مـــشاكل مـــصر المالية ، فالواقع أنّ مصر تنتج –دون نفط سيناء– حوالي 12 مليون طن سنوياً ، وتستهلك 60% من هذا الإنتـــاج ، أما النفط الذي يغتصبه اليهود في سيناء منذ سنين فيعادل نحو 2 مليون طن سنوياً ، ويغطي 25% مـــن حاجـــاتهم

الاستهلاكية الحالية .. وظهرت حقيقة المشكلة في المفاوضات التمهيدية على مرحلة الانسحاب التي تتضمن تـــسليم الحقول ، فقد احتج الخبراء الفنيون من مصر ، على أن طريقة استخراج النفط كانت اســـتغلاليةً تتـــضمن أخطـــاراً جسيمة على الآبار نفسها ، حيث لا تسمح طاقتها الفعلية بأن يزيد الإنتاج السنوي على 1-1,5 مليون طن ســـنوياً في الأصل ، ورفض هؤلاء الخبراء التعهد للجانب الإسرائيلي بتزويده بـ 2 مليون طن كما طلب ، حتى أتى الـــسادات وحلّ المشكلة في حيفا متعهداً بهذه الكمية .. بالإضافة إلى مياه النيل

ويعني هذا التعهد الصدام بين القرار السياسي والقرار الفني الاقتصادي ، أو أن تحصل الدولة الغاصبة على الـــنفط المصري من خارج سيناء أيضا

2- **مياه النيل** : من ظن السادات يمزح فليذكر أن الكثيرين ظنوه يمزح يـــوم أعلـــن اســـتعداده للـــذهاب إلى (الكنيست) .. على أن القضية بحدّ ذاتها ليست جديدة ، فمشروع ريّ سيناء والنقب بمياه النيـــل تعـــود إلى عهـــد الاستعمار البريطاني وفكرةِ توطين اليهود في سيناء قبل ذكر فلسطين ، وتجدّدُ الحديث عن المشروع يعـــود إلى فتـــرة المفاوضات الأولى قبل اتفاقات (كامب ديفيد) .. بل كان المشروع ولا ريب من مرتكزات الـــتفكير الـــصهيوني في (كامب ديفيد) لنقل المستعمرات واستصلاح النقب لاستيعاب هجراتٍ يهودية جديدة إلى فلسطين المحتلة .. ولكـــن الجديد هو إعلان السادات دون سابقةٍ تمهيدية عن موافقته على المشروع من حيث المبدأ ، إنما يدرك هو وكل مراقبٍ للأوضاع داخل مصر ، أن تنفيذ المشروع يصطدم بدوره بـ (العامل النفساني) ، فمساحة مصر تزيد على مليون كيلو متر مربع ، ومساحة الأراضي الصحراوية تزيد على 95% من مجموع المساحة ، ومساحة الأرض المزروعة لا تزيـــد على 35 ألف هكتار .. والسؤال : علام لا تُستَغلُّ مياه النيل في استصلاح الأراضي الواقعة شرق النيل وغربه مباشرة ، وهي من حيث تربتها ، ومردود استصلاحها ، وحجم تكاليف الاستصلاح ، وسهولة التنفيذ ، ومن حيث الحاجة الماسة إليها .. أنسب لتنفيذ مشاريع الاستصلاح من النقب المحتلة ، أو أرض سيناء الدامية ؟ .. وهذا سؤال يمكن أن يشكل حاجزاً نفسانياً عميق الجذور لو انتقل من حيز التمهيد إلى حيز التنفيذ

3- **اليد العاملة والخبرة الفنية** : ويوجد أكثر من حل مطروح على هذا الصعيد ، من ذلك أن يذهب عمالٌ من مصر إلى الأرض المحتلة ويشتغلوا في مصانعها .. وهذه خطوة خطيرة ، يخشاها اليهود إذ تردد صـــحفهم أن ذلـــك يسبب (الصدام النفساني المباشر) ، واحتمال (الضياع التدريجي لروح العمل) عند الصهيوني .. كما يخـــشى منـــها المسؤولون في مصر ، فعند تسليم العريش خرج أبناء العريش في مظاهرةٍ ضد الجنود اليهود وحاولوا نـــزع الـــسلاح منهم ، وهتفوا بالعودة إلى فلسطين بعد العريش .. مما جعل سلطات مصر تقرر -رغم فتح الحدود- وقف عمل أبناء سيناء في المنشآت اليهودية داخل المستعمرات الباقيةِ بعدُ في سيناء .. خشية مزيدٍ من (الصدامات النفسانية)

والاحتمال الآخر أن يقوم اليهود باستثماراتٍ صناعية في مصر ، ولكن من يوفّر المال لذلك ؟ .. إنّ ديون مـــصر الخارجية تعادل 14-15 مليار دولار ، والاستغاثات الجديدة لم تحقق مردوداً يذكر ، والعجز في ميزان المـــدفوعات

يصل إلى أكثر من 5 مليار دولار .. وكذلك فديون الدولة الغاصبة الخارجيـــة في حـــدود 14-15 مليـــار دولار ، والتضخم أكثر من 60% وقد يصل هذا العام إلى 100% ، والعجز في حدود 2,5 مليار دولار .. ولا يوجد بعد ما يشير إلى احتمال استغلال أموالٍ نفطية عربية في مشاريع داخل مصر يشارك خبراء اليهـــود في تنفيـــذها .. بـــسبب الحاجز النفساني أيضا .. ولا يبقى سوى المشاريع التي قد تقوم بأموالٍ غربية يضمن أصحابها المردود الرابح لأنفسهم ، وبخبرةٍ تقنية يهودية ، وبعرق جباه العمال من أبناء مصر .. ويبرز هنا (الخطر النفساني) بدرجة لا تقل أهميتـــها عـــن الحالة الأولى ..

وباستعراض ما سبق .. تبدو أهمية (العامل النفساني) فالواقع أن السادات برحلته إلى الأرض المحتلة قـــد كـــسّر (**الحاجز الإعلامي**) ، أما (الحاجز النفساني) فلا يمكن أن ينهار بضربة معولٍ واحدة ، وإذا غاب عمقه عن الأنظـــار وراء الحملات الإعلامية فإن كل خطوة عملية باتجاه تحقيق أية درجة من التعاون المباشر في الإطار المذكور ستثير هذا العامل الكامن في الأعماق من جديد .. ولهذا فإن الجهود الحالية مبذولة في الدرجة الأولى على صعيد إيجاد (المنـــاخ) الملائم لاحتضان (التعاون) ثقافياً ونفسانيا

وصحيح أن حملات (التغريب) في مصر قديمة ، وأن منجزاتها السابقة كبيرة ، ولكنّ (الحاجز النفسي) تجاه اليهود بقي طوال تلك الحملات قائماً ، بل كثيراً ما كان بعضها يرتكز على ادعاء تثبيته للنفاذ بأهداف التغريب إلى أعماق النفوس .. ويبدو أن العمل الجاري الآني يجري على **مرحلتين** : مرحلة (إيجاد المناخ) تحت أيّ اسم (ثقافي أو مدني أو فني أو نفسي) أو سوى ذلك من المسميات ، والمرحلة الثانية هي تنفيذ مشاريع التعاون الفعلية وإن تضمنت (تبعيـــة كاملة صريحة) .. وقد ضُمِنَتْ (مناخياً ونفسانيا) ..

وهذه (الاستراتيجية) بعمقها وثبات محورها واضحة المعالم في كل كلمة جديدة يلقيها (الرئيس) منذ (الرحلة) إلى اليوم .. انطلاقاً من (العامل الحضاري المصري الفرعوني) عبر 7.000 سنة حفلت بالصلات الفرعونية-اليهوديـــة ، ومرت بعهود الاستعمار الأجنبي الإسلاميّ وغير الإسلاميّ في مصر ، وعادت الآن إلى طريق المدنية المصرية-العبريـــة .. ومن شاء فليقل (القبطية-العبرية) ! ..

أما التطبيق اليومي لهذه الاستراتيجية ، فيظهر مداه ، وتظهر من خلاله العملية الطويلة الأمد لتكـــسير (الحـــواجز النفسانية) جميعاً ، من خلال مثالٍ واحد من ألوف الأمثلة اليومية ، نأخذه من صفحات عددٍ واحد مـــن (أخلـــص) المجلات للرئيس وأقربها إليه .. ومن أراد المزيد فلا يحتاج إلى البحث والتنقيب ، بل عليه أن يتناول أية صحيفة أو مجلة ، في أي يوم من الأيام .. وسيرى فيها صورةً مشابهة أو مكملةً للصورة التالية لمقتطفاتٍ منقولة عن مجلة (اكتوبر) في عددها الصادر يوم 79/08/19م

– في الصفحة الأولى 13 خبراً ، جميعها على الإطلاق عن اليهود أو الصلات مع اليهود ، ابتداءً من الحديث عن (بوابة تذكارية للرئيس السادات تقام بحيفا) وحتى (بحثِ وفدِ بوليس إسرائيلي مع البوليس المصري المشاكل التي تتعلق بأمن البلدين) ومروراً بـ : (لماذا يحب فايتسمان كمال حسن علي) أو (سيدة الغناء الإسرائيلية تحضر إلى القـــاهرة في نوفمبر)

– المقال الرئيسي بقلم (أنيس منصور) يحتل هذه المرة 10 صفحات كاملة ، تتضمن بأســـلوبه المعتـــاد محاولـــة التعريف بكل شخصية هامة أو غير هامة من شخصيات اليهود بنماذجها المختلفة .. وجميعها بطبيعـــة (إنـــسانية) لا حاجة للخوف منها بل كما يقول : (**إذا لم يجد الإنسان ما يحبه ، فعليه أن يحب ما يجده**) .. ولقد وجـــد (حـــرم فايستمان) التي عالجته من انهياره المرضي ، ووجد (جيئولا كوهين) التي تعارض المعاهدة .. ولكنها مخلصة كسواها لما تقول به ، ووجد (ياعيل دايان) وأحب مؤلفاتِها وأَنِسَ بحديثها

ثم يجد القارئ المزيد ، فمصر دخلت حرب 1948م ضد الطرف الخطأ –اليهود– وكان يجب أن تحارب الإنكليز ، وكأنما اليهود لم يكونوا هم الأعداء ، أو كأنما الإنكليز لم يكونوا حلفاء اليهود ، وهذا رأي (عبد الناصـــر) علـــى الأقل بشهادة (رابين) وبـ (أمانة النقل) عند أنيس منصور .. أما مدير المخابرات الحربية السابق (يارلييف) فمخلـــص لمصر ، بدليل أنه **يريدها قوية الآن** .. وتأكيداً على إخلاصه يبرز (أنيس منصور) رجولته على الأقل وأدبه إلى درجة إخجال رئيس تحرير (اكتوبر) الذي لا يفطر في رمضان إلاّ لعذر شرعي ، ويقول : (ولم يشربوا قهوة أو شـــاياً ، أو عصيراً ، احتراماً لشهر رمضان ، وخجلت من أن أقول إني غير صائم وإني أحترق عطـــشا) .. وتـــديّنُ الكاتـــب كتدينهم ، وحرصه على إبراز تدين نفسه كحرصه على إبراز تدينهم ، فهم الذين يفزعون من طلبه أن يشرب اللبن في مطعم يقدم اللحم ولا يجوز أن يُقدَّمَ (اللبن واللحم) في نفس المكان .. ثم ليقرأ القارئ .. ولْـــيعلم أن فلـــسطين السليبة أصبحت (بلد اليهود الجميلة) التي يخاطبهم أنيس منصور عنها : (مريض في بلدكم ، لقد شربت اللـــبن ، ولم يبق إلاّ العسل ، قال : إنه **بلد اللبن والعسل** .. ومعه حقّ ، فالعسل في كلامهم كثير ، وهم مجـــاملون وحريـــصون على ألا يجرحوا بالكلمة أو الإشارة أحداً ، فنحن نتقارب من بعضنا البعض ، على أطراف أصابعنا ، **ولكننا نتقارب**) ..

ولا ريب أن هذا (التقارب) بالذات .. هو ما يراد بحدّ ذاته ، ويراد إقناع كل قارئ بأنه تقاربٌ يقع يوماً بعد يوم .. ومن كان من الأميين لا يقرأ ولا يكتب فله أن يسمع ويرى الإذاعة وعلى شاشة التلفزيون .. ما يكفـــي لكـــسر حاجزه النفساني أيضاً تمهيداً لمرحلة (التعاون) أو قل (التبعية الاقتصادية) في المستقبل